يوم الرّجيع[١]

قصة قتل عاصم وخبيب وأصحابهما

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبيّ ﷺ سريّة عيناً[٢]، وأمّرَ عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه ـ وهو جدّ عاصم بن عمر بن الخطاب. فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عسفان[٣] ومكة، ذُكروا لحيّ من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصّوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزوّدوه من المدينة، فقالوا: هذا تمرُ يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم. فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فَدْفَد[٤]، وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العهدُ والميثاق إنْ نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً. فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهمّ أخبر عنا نبيك؛ فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنّبل، وبقي خُبَيبٌ وزيدٌ ورجل آخر رضي الله عنه فأعطوهُمْ العهدَ والميثاق؛ فلما أعطَوْهُمْ العهدَ والميثاق نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلّوا أوتار قسيّهمْ فربطوهم بها؛ فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغدر، فأبى أن يصحبهم، فجرّروه[٥] وعالجوه على أنْ يصحبهم فلم يفعل فقتلوه.

وانطلقوا بخُبَيب وزيد حتى باعوهما بمكة. فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل ـ وكان خُبيبٌ هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر ـ فمكث عندهم أسيراً حتى إذا أجمعوا قتله، استعار موسى[٦] من بعض بنات الحارث ليستحدّ بها[٧]، فأعارته. قالت: فغفلتُ عن صبيٍّ لي فَدَرَجَ إليه[٨] حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيتُه فزعتُ فزعةً، عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال: أتخشينَ أنْ أقتله؟ ما كنتُ لأفعل ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ. وكانت تقولُ: ما رأيتُ أسيراً قطّ خيراً مِنْ خُبَيبٍ؛ لقد رأيته يأكل من قِطْف[٩] عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وإنه لموثقٌ في الحديد؛ وما كان إلا رزق رزقه الله. فخرجوا به من الحرم ليقتلوه. فقال: دعوني أصلي ركعتين؛ ثم انصرف إليهم فقال: لولا أنْ تَرَوْا أنّ ما بي جزعٌ من الموت لَزِدْتُ؛ فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل هو؛ ثم قال: اللهمّ أحصِهِمْ عَدَداً ثم قال:

---

(١) الرّجيع: ماء لهذيل، وبه كانت غزوة الرجيع.
(٢) عيناً: جاسوساً.
(٣) عُسفان: موضع على مرحلتين من مكّة.
(٤) الفَدْفد: الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع.
(٥) في الأصل «فجرّدوه» والصواب ما ذُكِر.
(٦) الموسى: آلة يحلق بها.
(٧) «الاستحداد»: حلق شعر العانة.
(٨) درج إليه: مشى إليه.
(٩) القِطْف: بكسر القاف وسكون المهملة وبالفاء: العنقود.

وما إنْ أبالي حين أُقتَلُ مُسلماً ... على أيّ شِقٍّ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يَشَأْ ... يبارك على أوصال[1] شِلْوٍ[2] ممزّعِ[3]

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ـ وكان عاصم قَتَلَ عظيماً من عظمائهم يوم بدر ـ فبعث الله عليه مثل الظُّلَّةِ[4] من الدَّبر[5] فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيءٍ. وأخرجه البيهقي (٩/ ١٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه. وهكذا أخرجه عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في الاستيعاب (٣/ ١٣٢)، وقال أحسن أسانيد خبره في ذلك ما ذكره عبد الرزاق ـ فذكره. وأبو نعيم في الحلية (١/ ١١٢) نحوه.

وأخرج ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحُد رهطٌ من عضَل والقارة فقالوا: يا رسول الله إنّ فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ويقرؤوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه ـ فذكرهم. فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرَّجيع ـ ماءٌ لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهَدْأة[6] ـ غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم؛ فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهدُ الله وميثاقه أن لا نقتلكم؛ فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت رضي الله عنهم فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً.

أبيات عاصم حين قتله وحفاظ جسده عن المشركين

وقال عاصم بن ثابت.

ما عَلَّتي وأنا جَلْدٌ[7] نابلُ[8] ... والقوسُ فيها وتَرٌ عَنابلُ[9]

---

(١) أوصال: جمع وصل، بكسر الواو وضمها: كل عضو على حدة.
(٢) الشلو: العضو. (٣) ممزع: مقطع.
(٤) الظلة: السحابة.
(٥) الدبر: بسكون الباء النحل وقيل الدبابير.
(٦) الهدأة: موضع بين مكة والطائف.
(٧) الجلد: القوي الشديد.
(٨) النابل: صاحب النبال والرامي بها.
(٩) عنابل: بالضم: الصلب المتين، والجمع بالفتح.

تزلُ عن صفحتها المَعابلُ[١] الموتُ حقٌ، والحياة باطل
وكلّ ما حَمَّ[٢] الإله نازل بالمرء والمرء إليه آيل
إن لم أقاتلكم فأمي هابل[٣]

وقال أيضاً:

أبو سليمان وريش المقعد[٤] وضالة مثل الجحيم الموقد
إذا النواجي[٥] افترشت[٦] لم أرعَدِ ومُجْناً[٧] من جلد ثور أجرد
ومؤمن بما على محمد

وقال أيضاً:

أبو سليمان ومثلي راما وكان قومي معشراً كراماً

قال: ثم قاتل حتى قتل وقتل صاحباه فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد[٨]، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحُد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه[٩] الخمرَ؛ فمنعته الدَّبْرَ. فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه، فنأخذه. فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً تنجساً، فكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه: أنَ الدَّبْر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته.

قصة زيد بن الدَّثِنة وما قاله في حب النبي ﷺ

وأما خُبَيْبٌ، وزيد بن الدَّثِنة، وعبد الله بن طارق ـ رضي الله عنهم ـ، فلانُوا ورقُّوا

---

(١) المعابل: نصال عراض طوال.
(٢) حمّ: قدّر.
(٣) هابل: ثاكل.
(٤) المُقعد: رجل كان يبري السهام.
(٥) النواجي: الإبل المسرعات.
(٦) افترشت: ركبها الشجعان.
(٧) مجناً: ترس.
(٨) في الأصل: «سهيل» والصواب ما ذكر.
(٩) قحف الرأس: الذي فوق الدماغ، وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل.

ورغبوا في الحياة، وأعطوا بأيديهم فأسَرُوهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَهران[1] انتزع عبد الله بن طارق يده من القران[2]، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فَرَمَوْه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران. وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة، فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة، فابتاع خُبيباً حجير بن أبي إهاب التميمي. وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه، فبعثه مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم[3]، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان ـ حين قدم ليقتل ـ: أنشدك بالله ـ يا زيد ـ أتحب أن محمداً ـ ﷺ ـ الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وإنك في أهلك؟ قال: والله ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصِيبُهُ شوكةٌ تؤذِيه وأني جالس في أهلي!! قال: يقول أبو سفيان: ما رأيتُ من الناس أحداً يحب أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً. قال: ثم قتله نِسْطاس.

قصة حبس خبيب بمكة وقصة صلاته عند القتل

قال: وأما خبيب بن عدي فحدثني عبد الله بن أبي نجيح أنه حدث عن ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب ـ وكانت قد أسلمتْ ـ قالت: كان عندي خبيب حُبِس في بيتي، فلقد اطلعتُ عليه يوماً، وإنَّ في يده لَقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد اللّه بن أبي نجيح أنهما قالا: قالت: قال لي حين حضره القتل: ابعثي إليَّ بحديدة أتطهَّرُ بها للقتل. قالت: فأعطيت غلاماً من الحيّ الموسى فقلت: ادخل بها على هذا الرجل البيت. فقالت: فوالله إن هو إلا أن ولّى الغلام بها إليه. فقلت: ماذا صنعت؟ أصاب والله الرجل ثأره يقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده، ثم قال: لعمرك! ما خافت أمّك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إليّ؟! ثم خلّى سبيله. قال ابن هشام: ويقال: إنّ الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخُبَيب رضي الله عنه حتى إذا جاؤوا به إلى

(١) واد قرب مكة، وعنده قرية يقال لها «مرّ»، تضاف إلى هذا الوادي فيقال: مرّ الظهران.
(٢) القران: الحبل.
(٣) التنعيم: موضع بمكّة خارج الحرم على طريق المدينة، يحرم منه المكيّون.

التنعيم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تَدَعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طَوَّلْتُ جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خبيب رضي الله عنه أول من سَنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللهمَّ إنا قد بلّغنا رسالة رسولك فبلِّغْهُ الغداةَ ما يصنع بنا، ثم قال: اللهمَّ أحْصِهِمْ عَدَداً، واقتلهم بِدَداً[1]، ولا تغادِرْ منهم أحَداً، ثم قتلوه.

وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذ مع من حضره مع أبي سفيان فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقاً[2] من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إن الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه زلّت عنه.

وفي مغازي موسى بن عقبة: أنَّ خبيباً وزيد بن الدثنة ـ رضي الله عنهما ـ قُتلا في يوم واحد، وأنَّ رسول الله ﷺ سمع يوم قتلا وهو يقول: وعليكما أو عليك السلام، خبيب قتلته قريش. وذكر أنهم لما صلبوا زيد بن الدثنة رموه بالنبل ليفتنوه عن دينه، فما زاده إلا إيماناً وتسليماً. وذكر عروة وموسى بن عقبة رضي الله عنهما: أنهم لما رفعوا خُبَيباً على الخشبة نادَوْه يناشِدُونَهُ: أتحبُّ أنَّ محمداً مكانكَ؟ قال: لا والله العظيم!! ما أحبُّ أنْ يفدِيني بِشَوْكَةٍ يُشاكُها في قَدَمِهِ، فضحكوا منه. وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدثنة، فالله أعلم. كذا في البداية (٤/ ٦٣).

ما قاله خبيب في حب النبي ﷺ وأشعاره عند القتل

وقد أخرج الطبراني حديث عروة بن الزبير بطوله، وفيه: وقتل خبيباً[3] رضي الله عنه أبناء المشركين الذين قتلوا يوم بدر. فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادَوْهُ وناشدوه: أتحبُّ أن محمداً مكانك؟ فقال: لا والله العظيم، ما أحبُّ أن يفديني بِشَوْكة يشاكُها في قدمه، فضحكوا وقال خبيب رضي الله عنه حين رفعوه إلى الخشبة:

لقد جَمَّعَ الأحزابُ حولي وألَّبوا[4] قبائلَهُم، واستجمعوا كلَّ مجمعِ

---

(١) يروى بكسر الباء جمع بِدَة وهي الحصة والنصيب، أي اقتلهم حصصاً مقسّمة لكل واحد حصته ونصيبه؛ ويروى بالفتح أي متفرقين في القتل واحداً بعد واحد من التبديد.

(٢) فَرَقاً: خوفاً وفزعاً.

(٣) وفي «المجمع»: خبيب.

(٤) ألّبوا: جمعوا.

وقد جمّعوا أبناءهم ونساءهم ... وقرّبتُ من جذع طويلٍ ممنّعِ
إلى الله أشكو غربتي، ثم كربتي ... وما أرصد[1] الأحزاب[2] لي عند مصرعي
فذا العرش صَبِّرْني على ما يرادُ بي ... فقد بَضّعُوا[3] لحمي وقَدْ بان[4] مطمعي
وذلك في ذات الإله، وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلوٍ مُمَزَّعِ
لعمريَ ما أحفل[5] إذا متُّ مُسلماً ... على أيّ حال كان لله مضجعي

قال الهيثمي (٦/ ٢٠٠): رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف، انتهى. وقد ذكر الأبيات ابن إسحاق، كما في البداية (٤/ ٦٧)، فزاد بعد البيت الأول:

وكلهم مبدي العداوة جاهد ... عليَّ لأني في وثاقي بمضيَعِ

وزاد بعد البيت الخامس:

وقد خيّروني الكفرَ والموت دونه ... وقد هَمَلت[6] عيناي من غير مجزع[7]
وما بي حذار الموت، إني لميّتٌ ... ولكن حذاري جحم نار مُلفّعِ[8]
فوالله ما أرجو[9] إذا متُّ مسلماً ... على أيّ جنب كان في الله مضجعي
فلستُ بمبدٍ للعدوّ تخشّعاً[10] ... ولا جزعاً، إني إلى الله مرجعي

يوم بئر معونة

قصة أصحاب بئر معونة رضي الله عنهم

أخرج ابن إسحاق عن المغيرة بن عبد الرحمن وعبد الله[11] بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا: **قدم أبو بَراء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعِب الأسنّة على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه؛ فلم يُسلم ولم يبعد (من الإسلام) وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فَدَعَوْهُم**

(١) أرصد: أعدُّ.
(٢) وعند ابن إسحاق: الأعداء.
(٣) بضّعوا: قطعوا.
(٤) وعند ابن إسحاق: «ياس».
(٥) ما أحفل: ما أبالي.
(٦) همّلت: سالت.
(٧) مجزع: خوف وحزن.
(٨) ملفّع: محيط.
(٩) أرجو: أخاف.
(١٠) تخشّعاً: تذلّلاً.
(١١) في الأصل «عبد الرحمن» والتصويب من «ابن هشام» وكذلك سائر المحصور بين المزدوجين.